54% من أطفال الشوارع ضحايا الفقر

الشارع .. الأب الروحي لأطفال الجريمة!

المؤتمرات لن تخلصنا من مشروع المجرم الصغير !

هم أطفال في عمر الزهور.. ألقت بهم أسرهم في أحضان الشوارع والأرصفة لترضعهم قسوتها وعناءها وإجرامها وليتخرجوا من مدرسة الإجرام بشهادات مبهرة في فن السرقة والقتل وتعاطي المخدرات وبيعها وقطع الطرق واغتصاب الفتيات وغيرها ، ولعل ما تم كشفه مؤخرا عن عصابة التوربيني في مصر وغيرها من عصابات أطفال الشوارع خير شاهد علي تلك الظاهرة المؤسفة.. آثرنا أن ندخل إلى عش الدبابير بأرجلنا لنرصد عشرات النماذج من هؤلاء الأطفال والخلل الاجتماعي الرهيب الذي يهدد سلامة مجتمعاتنا وتماسكها استمعنا إلي حكايات هؤلاء الأطفال المأساوية والتي خاصمتهم البراءة فتابعوا معنا هذه السطـ

القاهرة/14اكتوبر/ عادل دسوقي

في البداية وقفنا أمام هذه الفتاة زائغة العينين بملابسها الرثة وشعرها المنكوش التي راحت تروي قصتها فتقول: عمري من ثلاث سنوات كان تسعة أعوام، كنت في ثالثة إبتدائي، وتوفي أبي، ولم تمض شهور قليلة حتي تزوجت أمي من رجل ضخم، فظيع، من اليوم الأول لدخوله بيتنا بدأ ينهرني، ثم يضربني، ولم تكن أمي تملك أن تمنع عني إهاناته أو ضربه، ثم فوجئت به في إحدي الليالي يأخذني إلى حجرته، ويبتسم لي – علي غير عادته– بل ويقدم لي قطعة حلوي، وقبل أن أندهش أكثر أخرج من جيبه كيساً طلب مني أن أذهب به إلي أحد أصدقائه الذي سينتظرني أمام مدرستي في الظهر.. وبالفعل ذهبت به دون أن أعرف ما بداخله وانتظرت قليلاً أمام المدرسة حتي جاء الرجل وأخذ الكيس ورحل.. ولم تمض أيام قليلة حتي طلب مني زوج أمي أن أذهب بكيس مماثل في نفس المكان، وتكرر الموقف أكثر من مرة، وفي إحدى المرات وبينما كنت أقف أمام المدرسة في انتظار "المندوب" وجدت أحد أساتذتي في المدرسة يسألني عن سبب وقوفي، تلعثمت وقلت له إنني في انتظار أحد الأشخاص لتسليمه شيئا يخصه.. نظر إلى الكيس متفحصاً قبل أن يجذبه ويعبث بما فيه قبل أن يصرخ مخدرات!! وبالطبع باقي القصة معروف فقد أنكر زوج أمي معرفته بهذه الأشياء بينما تم وضعي في إصلاحية الأحداث.

بلطجة الصبية

أما "محمود سوستة" فهو أشهر طفل في حي الغورية، يمكنك أن تراه يومياً وهو يشم "الكُله" أو وهو يضرب أصدقاءه الصغار ليأخذ منهم كل مليم سرقوه من الأتوبيسات والأسواق، وانتزاع ذلك بالقوة، إذ يمارس البلطجة عليهم رغم أن عمره لايتعدى الرابعة عشرة، ولكن يساعده في ذلك جسده المفتول، وجرأته الشديدة، ولولا آثار ضربة مطواة في وجهه لأمكن القول أنه كان وسيماً، ويحكي أحد أبناء الغورية حكاية محمود سوستة قائلاً لقد كان والداه علي خلق كريم، يحبهما الجميع، ولكنهما رحلا في حادث مروري مروع، وتركا محمود وأخاه الصغير سيد بمفردهما، لم يكن لهما أقارب معروفون، ولم تكن ظروفهما المادية جيدة لذلك وبعد شهور قليلة فوجئنا بصاحب البيت الذي يسكنان إحدى شققه يقوم بإلقاء أمتعتهما خارج المنزل قائلاً أنه لا يفتح بيته كملجأ أيتام.. يومها تطاير الشرر من عيني محمودا وهو يحتضن أخاه الصغير والدموع تملأ عينيه، قبل أن يقدم على عمل انتحاري لم يتوقعه أحد، فقد استل سكينا من بين أواني المطبخ، ودون أن ينتبه أحد، وأغمده في صدر صاحب البيت، ولكنه لم يمت وإن كان قد مكث شهوراً طويلة في الفراش، وقضى محمود نحو سنة في دار الأحداث خرج بعدها ليمارس البلطجة على الجميع.

ويقول "حكشة" أقصد محمد الدالي وهو صبي في الرابعة عشرة من عمره التقيناه أسفل كوبري 26 يوليو أنه جاء إلي الحياة كصفحة بيضاء غير أنها ما لبثت أن تلوثت فقد كان والده دائم التعدي على والدته المريضة، وأن عينيه تفتحت علي نساء كبيرات كن يحضرن إلي منزلهم ثم يأتي بعدهم عدد من الرجال، لا يدري المسكين لماذا؟ كما لا يدري شيئا عن هذه المشروبات التي يتناولونها ثم قهقهاتهم الهستيرية، كما لم يدر آنذاك سبب انقطاع الكهرباء المتكرر في هذا التوقيت تحديدا ولكنه بالطبع يتذكر المرة التي تجرأ وأشعل فيها شمعة كان يحتفظ بها عندما احتفلت والدته بعيد ميلاده العاشر، وتقدم بالشمعة نحو الحجرة الفسيحة التي أظلمت على والده وصديقاته وأصدقائه، وعندما فتح الباب متوقعاً مكافأة من والده لأنه جاءهم بالنور، وعندما وقعت عيناه على المشهد المخزي إرتد مصعوقاً وسقطت الشمعة من يده، غير أن والده قفز نحوه وجذبه خارج الغرفة قبل أن ينهال عليه ضرباً فأسال دمه ثم ألقاه خارج المنزل آمراً إياه ألا يعود إليه ثانية.

ومن يومها تلقفه شارع، وألقاه إلى شارع، نام، وجاع، وتعرى، وتشرد ثم لم يجد سبيلاً سوي الانضمام إلي مجموعة من الأطفال تعرف عليهم أسفل أحد الكباري، وقاموا بضمه لى فريقهم في عالم النشل وترويج العملة الزائفة.

تلميع إعلامي

التقينا د. أحمد المجدوب أستاذ علم الاجتماع والذي يؤكد أن هذه الظاهرة ستظل قائمة بلا حل، مالم تتضافر كل الجهود لاجتثاث ظاهرة أطفال الشوارع من جذورها لأنها المورد الأساسي لظاهرة أطفال الجريمة.. ولكن الواقع العملي يؤكد أن كل ما يعقد من مؤتمرات، ومهرجانات بدعوى التوصل إلي حلول لمشكلة أطفال الجريمة، أو أطفال الشوارع لاتخدم هؤلاء الأطفال بقدر ما تهدف إلي التلميع الإعلامي، إلا أن كل ذلك لايفيدهم شيئاً، ولن ينجح أبداً في تخلص المجتمع من مشروع مجرم صغير أبداً، فضلاً عن تخليصه من مجرم كبير، مشيرا إلي أن هذه المشكلة هي مشكلة كل عصر وكل مجتمع، وإن كانت قد تزايدت بشدة في السنوات الأخيرة فذلك راجع للعديد من الأسباب التي يجب التخلص منها أولا إن أردنا التوصل إلى حلول لهذه المشكلة وتتمثل في الفقر، والجهل، والتفكك الأسري، وغياب دور مؤسسات المجتمع، والمدرسة في تقويم السلوكيات الشاذة للأطفال، وهو ما أكدته دراسة حديثة أجراها المركز القومي للبحوث الاجتماعية ومفادها أن 54% من أطفال الشوارع أخرجهم الفقر إلى الشوارع، كي يعملوا ويعولوا أسرهم التي أجبرتهم ظروف مختلفة على عدم الإنفاق، بسبب تقاعس الأب عن القيام بدوره، أو لوفاته، أو غيابه، أو أي سبب من هذا القبيل، وحين يخرج الطفل لمواجهة المجتمع لاينجح في التعامل معه والحصول علي ما يسد رمقه بسهولة، فلايجد إلا طريق الجريمة ليسقط في براثن محترفي الجريمة، ليصنعوا منهم مجرمين جددا لاتعرفهم عيون الشرطة.

ويشير د. المجدوب إلي التفكك الأسري كواحد من أهم أسباب هذه الظاهرة، لما يترتب عليه من مشاكل عديدة من قهر وتعذيب قد يجدونه من الآباء الحقيقيين أو من زوج الأم أو زوجة الأب، وهذه الفئة هم أكثر قابلية للانزلاق لعالم الانحراف، لتضخم دافع الانتقام من المجتمع نتيجة للقهر الذي ظلوا يعانون منه لفترات طويلة، لذلك لابد أن تتدخل الحكومات والجمعيات الأهلية، ومؤسسات المجتمع المدني للتصدي لهذه الجريمة في حق البراءة، والسيطرة عليها، لأننا إذا لم نتدارك هذا الخطأ الرهيب سيكون نصف المجتمع على الأقل بعد سنوات قليلة من عتاة المجرمين.

غياب الأسرة

أما د. إيمان شريف أستاذة علم النفس الجنائي فتري أن المسؤول الأول عن أطفال الجريمة هي الأسرة، لأنها لو حرصت على تنشئة أطفالها التنشئة السليمة لما سلكوا طريقهم إلى عالم الشوارع، ومن بعده إلي عالم الجريمة، كما تتحمل المصرية الدور الثاني في عدم تقويم طلابها، ومعالجة سلوكياتهم المنحرفة، فالمدرسة التي تشاهد طالبا يسرق قلم زميله دون أن تنهاه عن ذلك وتبين له خطأ هذه الفعلة، فهي مسؤولة عن تنشئة طفل مجرم، لأنها لم تقوم انحرافه من اللحظة الأولى، واستهانت بمجرد سرقة أشياء زملائه، كما أن مؤسسات وأجهزة التنشئة الاجتماعية مسئولة عن أي انحراف يشوب سلوكيات الأطفال، ويدفعهم إلى الجريمة.

الجمعية العالمية للشيخوخة

يتقدم العالم في السن. ففي الخمسين سنة القادمة، سوف يزداد عدد كبار السن نحو أربعة أضعاف إذ يزدادون من نحو 600 مليون نسمة إلى بليوني نسمة تقريبا. واليوم، بلغ في سن الستين وأكثر واحد من كل عشرة. وبحلول عام 2050 م سيكون هناك واحد من كبار السن بين كل خمسة أشخاص وبحلول عام 2150، من المتوقع أن يبلغ ثلث سكان العالم ستين سنة من العمر أو أكثر.

وفي بعض البلدان المتقدمة والبلدان ذات الاقتصادات التي تجتاز مرحلة انتقالية، انخفضت معدلات المواليد دون مستويات الإحلال، ومن ثم أصبح عدد الأشخاص الأكبر سنا يفوق الآن عدد الأطفال. وفي العقود القادمة، فإن الزيادة في عدد كبار السن ستكون هي الأكبر من نوعها في البلدان المتقدمة حيث من المتوقع أن يتضاعف عدد السكان الأكبر سنا أربع مرات على مدار السنوات الخمسين القادمة.

وتعد شيوخة سكان العالم مدعاة للقلق لدى كل فرد، ولدى جميع الأجيال في البلدان شتى يستوي في ذلك البلدان النامية والبلدان المتقدمة. وهذا التحول في تركيبة السكان ستنجم عنه نتائج عميقة لكل جانب من جوانب الحياة سواء بالنسبة للأفراد أو المجتمعات.

ولسوف تواجه البلدان النامية أشق التحديات من حيث الموارد إذ سوف يتعين عليها أن تتعامل مع التنمية ومع شيوخة السكان في وقت واحد. ولكن عندما تطول حياة السكان، وإذا ما أصبحوا في صحة أفضل وعاشوا حياة أكثر نشاطا، فمن شأن السكان المتحولين إلى الشيخوخة أن يتيحوا بذلك فرصا ينبغي الإفادة منها.

ومن أجل مواجهة التحديات المرتبطة بهذا التحول الديمغرافي الهائل، قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة عقد الجمعية العالمية الثانية للشيخوخة في الفترة من 8 إلى 12 نيسان / أبريل 2002 في مدريد، اسبانيا.

لماذا جمعية عالمية؟

هذه ليست المرة الأولى التي يتدارس فيها المجتمع الدولي التحديات التي تواجه الفرد والسكان المتحولين إلى الشيخوخة. ففي الجمعية العامة الأولى للشيخوخة، المعقودة في فيينا عام 1982، اعتمدت البلدان خطة العمل الدولية للشيخوخة التي استرشد بها التفكير والإجراءات المتصلة بالتقدم في السن على مدى السنوات العشرين الماضية. وقد أوصت الخطة المذكورة بمجموعة متنوعة من المبادرات في مجالات التوظيف وأمن الدخل والصحة والإسكان والتعليم والرعاية الاجتماعية.

والآن، وبعدخمسة عشرين عام، وفيما يواجه العالم مسألة الشيخوخة بكل عمقها، تُعقد الجمعية العامة الثانية للشيخوخة لمساعدة الحكومات والمجتمعات على تخطيط السياسات التي ستضمن إمكانية أن يواصل الأشخاص من كبار السن الإسهام في المجتمع بطريقة يُعتد بها وبأفضل ما يستطيعون من إمكانات. وبالإضافة إلى استعراض لجمعية فيينا، فلسوف تُعتمد خطة عمل منقحة تتدارس الحقائق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والديمغرافية للقرن الجديد. ومن شأن خطة العمل المنقحة، التي ستقدم إلى الدول الأعضاء على شكل مشروع بوصفها الاستراتيجية الدولية للعمل بشأن الشيخوخة، أن تقصد إلى أن تكون أداة عملية لمساعدة صانعي السياسات على صياغة الاستجابات إزاء التغيرات الديمغرافية التي تحدث في مجتمعاتهم. كما ستركز الاستراتيجية على الحاجة لضمان أن تحتل مسألة الشيخوخة مكانة أساسية على جميع جداول الأعمال السياسية المحلية والدولية وفي جميع الوثائق الأخرى الرئيسة المتعلقة بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية وبحقوق الإنسان.

في الطريق إلى مدريد

عندما قررت الجمعية العامة في أيار / مايو 2000 عقد الجمعية العالمية الثانية للشيخوخة فقد ذكرت أن على الجمعية العامة أن تركز على ما يلي:

- اتخاذ المجتمعات تدابير عملية المنحى للاستجابة لتحديات عملية الشيخوخة.
- الصلة بين الشيخوخة والتنمية ولا سيما في البلدان النامية.
- التدابير المتخذة لوضع الشيخوخة في التيار الرئيسي لسياق البرامج الإنمائية العالمية الجارية.
- إقامة أشكال من الشراكة العامة والخاصة بما في ذلك ما يتم مع المنظمات غير الحكومية لبناء مجتمعات لجميع الأعمار.
- اتخاذ تدابير لتوطيد التضامن بين الأجيال.

وقد دعت الجمعية العامة المنظمات غير الحكومية ومؤسسات البحوث والقطاع الخاص إلى المشاركة في الجمعية العالمية وفي الاستعدادات المتخذة لعقدها. كما قررت أن تعمل لجنة التنمية الاجتماعية بوصفها اللجنة التحضيرية للجمعية العالمية الثانية ثم عهدت إلى اللجنة بمسؤولية توجيه المفاوضات الجارية بشأن استراتيجية العمل الدولية.

ولسوف يعمل برنامج الأمم المتحدة المعني بالشيخوخة، في شُعبة السياسة الاجتماعية والتنمية بوصفه أمانة الجمعية العالمية. واعترافا بأن جميع قطاعات المجتمع لا بد وأن تشارك في صياغة الاستراتيجية المذكورة، فقد رحب بالمساهمات من جانب اجتماعات أفرقة الخبراء والحلقات النقاشية ووكالات الأمم المتحدة وصناديقها وبرامجها ومن الحكومات والمنظمات غير الحكومية والمجتمع المدني.

وتم تشكيل لجنة تقنية مؤلفة من خبراء ينتمون إلى مجموعة متنوعة من الخلفيات المهنية والمناطق الجغرافية. وقد اضطلعت اللجنة بدور أساسي في تقديم مدخلات مختلفة. وبالإضافة إلى ذلك، فقد أدرج في المشروع كثير من التعليقات والتوصيات المقدمة من الدول الأعضاء ومن هيئات الأمم المتحدة ومن المجتمع المدني.

وقد طُرح المشروع للمناقشة من جانب لجنة التنمية الاجتماعية التي تعمل بوصفها اللجنة التحضيرية للجمعية العالمية، في اجتماعاتها الثلاثة المعقودة في نيويورك خلال عام 2001

وقد أنشأت الحكومة الإسبانية لجنة تنظيمية للجمعية العالمية في إطار وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

شكل الجمعية

المهمة الأساسية للجمعية العالمية، المقرر عقدها في قصر المؤتمرات في بلدية مدريد سوف تتمثل في الموافقة على الاستراتيجية.

كما ستنظم الجمعية أعمالها حول ما يدور في اجتماعات المناقشة العامة واللجنة الرئيسية. وسوف تتيح المناقشة العامة إمكانية تبادل عام للآراء بشأن المواضيع الرئيسية. أما اللجنة الرئيسية وغيرها من الأفرقة العاملة فلسوف تكون مسؤولة، عند الاقتضاء، عن إعداد الاستراتيجية من أجل اعتمادها في اجتماعات المناقشة العامة.

كما ستعقد سلسلة من مناقشات الموائد المستديرة بإشراف حكومة اسبانيا لتشمل خبراء مستقلين وشخصيات بارزة ومجموعات لها اهتمام خاص بالمسائل المتعلقة بالشيخوخة. ويتمثل الهدف من ذلك في تعزيز حوار واسع النطاق بين الحكومات والمجتمع المدني بشأن القضايا والتحديات الرئيسية المتعلقة بالشيخوخة.

أخي المواطن:
البحر خلال موسم الأعاصير لا يرحم ولا يعرف سباحاً ماهراً أو غواصاً .. فالرياح أقوى والموت أسرع
الأمن البحري